

لا لم يمت لحسين برغوتي

(المسرح كوريديور مستطيل. صباح ربيعي دافئ. صوت زقزقة عصافير. مقاعد حول المستطيل. من بروجكتر تسقط صورة على الجدار الخلفي: صورة قديمة بالأبيض والأسود، لأب وابنه. الأب بينطلون رمادي مكوي، من موضات الستينيات، بشعر ممشط نحو الخلف، ووجه حليق. قميص مشمر الأكمام، أبيض، من الستينيات، أيضا. حذاء أسود. الولد بقميص عادي، عفوي، وبينطلون، وحذاء رياضي، ورأس مخلوق على الصفر، ويمسك بيد والده. الولد، سلامة، الآن، في الخامسة والثلاثين من عمره، يروح ويجيء في الغرفة، أي الكوريديور، مستغرا.)

- سلامة: (يتكلم مع صورة أبيه) يعني الواحد، شايف كيف، مش حجر، مهما يبقى، ومش هيك. وششش! (يقلد عصفورا) زق زق زق زق. وطرت. هيك يم؟ سافرت؟! (يعني) "سافر حبيبي وأنا برضه على نية!" (يقترب من طاولة عليها مخطوطة قديمة، حزمة ورق مفككة، في مغلف مفتوح، مربوط بخيط حرير أحمر.) (للصورة) اوراق؟ يعني الواحد عنده شعور، مش اوراق... (تدخل أمه، بثياب زهرية، وككل، ألوانها فرحة، أو عادية. تكنس "بيت الأجر"، أي الكوريديور.)
- ام سلامة: يا الله يا سلامة، ضب هالصورة يما، والاوراق، بيجوز ناس بيجو عالجزا.
- سلامة: وانتى؟
- ام سلامة: شو مالي أنا؟ ضب هالصورة، والاوراق.
- سلامة: يعني خلص؟ ضب هالصورة؟ الواحد بيعز عليه تبقي امه مبسوفة في بيت أجر. ألبسي العباة السوداء، شايف كيف..
- ام سلامة: "شايفة كيف"، قلتك، مش "شايف كيف".
- سلامة: العباة السوداء! (يحضر عباة سوداء، ومنديل أسود.) ألبسي أسود.
- ام سلامة: ليش وجهك أصفر، زي ليمونه ممصوفة، أصفر. شوف حالك في المرآة.
- سلامة: قناع، وجهي قناع اصفر. وانت ألبسي اسود. قناع اسود. اعلمي حالك زعلانه. ألبسي العباة. أصفر عاسود. بيت أجر ملون. ألبسي.
- ام سلامة: زي الليمونة. (تنحسس وجهه) يا ريت وجهك مرآة، عالأقل، مش ليمونه!
- سلامة: (سلامة يركض إلى الطاولة. قرب الأوراق قناع على هيئة رأس نسر. يلبسه.)
- سلامة: خلص ما حدا بشوف انه وجهي زي الليمونة. مقلتلش.
- ام سلامة: شو؟
- سلامة: ليش تركنا؟
- ام سلامة: قلتك مية مرة القصة.
- سلامة: عيديها. راسي يابس.
- ام سلامة: (بلامبالاة) بقى أبوك واقف تحت السرو، في الفي، وفي عصافير بتزاقى الصبح. قال بدو يسافر عالصين، وبشتغل، وبيعتلنا مصاري. وقللي ديرى بالك عسلامة، برجع.

- سلامة: هيك؟ وبرجع؟ وخلص. وش. زق. زق زق. وطار. خلاني هان. وهان، شايف كيف، فش حدا. كل البلد خمس دور. وخمس دور مهما يبقى مش ست دور. وبرجع؟
- (بطفاً الصورة على الخلفية)
- ام سلامة: برجع. هيك قال. بقى واقف تحت السرو.
- سلامة: مرة قتليني انه ترك في ليلة قمر. وهلا بتقولي ترك الصبح. يعني بتكذبي علي. شو الصحيح؟ (يحرك قناع النسر)
- ام سلامة: اسمع يا سلامة، انت كبرت يما.
- سلامة: طيب. يما، يا حبيبي شو الصحيح؟
- ام سلامة: بدك تعرف ليش ترك؟
- سلامة: آه.
- ام سلامة: ترك لما..
- سلامة: آه..لما
- ام سلامة: لما.. لما الناس بطلت تحلم. في ليلة قمر، "خبز وحشيش وقمر".
- سلامة: خبز وحشيش وقمر.
- ام سلامة: ترك في سفينه مضوية في المينا. في هذيك الليلة..
- سلامة: آه.
- ام سلامة: في هذيك الليلة حلموا اهل البلد حلم واحد، نفس الحلم. انهم بسبحوا في نهر، بسبحوا، والدنيا قمر، مشلحين، والنهر اخذ منهم ناس، وخلي ناس، وناس غرقوا وناس قطعوه. نهر اللي بسبح فيه بيصير ينسى. وصاروا ينسو. نسيوا. وبطل حدا يحلم. ويوك لحاله اللي سبح فيه بس ظل يحلم.
- سلامة: بشو؟
- ام سلامة: هذا اللي طول حياتي خايفة احكيلك اياه.
- سلامة: شو هو حلمه؟
- ام سلامة: ظل يحلم انه المهدي.
- سلامة: المهدي المنتظر؟
- ام سلامة: آه، المهدي المنتظر. ما اسمه مهدي. وبعدها قللي "أنا القائم". سمى حاله القائم.
- سلامة: وصدقته؟
- ام سلامة: يما أنا برضه بطلت احلم، مثل الناس. حكيه زي الحلم، شبه حلم. وصار يحكي لي شو هو بحلم، تصررت كل ليلة احلم اللي هو بحكيلي اياه. أنا بحلمش اشي، غير اللي هو بحلمه.
- سلامة: هو بحلم، وانت بتحلمي باللي هو حلمه. وانا؟
- ام سلامة: انت من أهال "ديرة الولي" الصغيرة هذي، كلها خمس دور، وحواليها صنوبر وسرو، وعصافير وغزلان، بس ما حدا بحلم فيها، ولا حدا، وانت منهم. نفسي مرة تحلم يا سلامة، احلم.
- سلامة: كيف؟
- ام سلامة: احلم زي أنا.
- سلامة: كيف؟
- ام سلامة: متذكر يا سلامة لما انت بقيت صغير، وواقف معه في المينا، وهو يغني، واجت سفينه بيضا. اتذكر.

- سلامة: ناسي.
- ام سلامة: اتذكر.
- سلامة: في إشي زي الشبح في خيالي. مش عارف انو انا متذكر، ولا انت احكيته القصة. مش قادر اتخيله مليح. شو بقى لابس، وهو عشط البحر، والدنيا خبز وحشيش وقمر؟
- ام سلامة: عمامة خضرا، وعباية خضرا.
- (شاردة) بقت الدنيا قمر، متذكرة مليح. ليلة سفره. وبقي لابس عوجهه قناع اخضر، حريز، وصافن في القمر. وبرجع، قال، برجع. قلت له: واحلم يا مهدي، تنساش تحلم. وجت سفينه مضوية، وسافر فيها.
- سلامة: (لنفسه) قناع أخضر، وصافن في القمر. في حدا، شايف كيف، مهما يبقى، في هالبلد، بلبس هيك؟ آه، استني، استني (ينظر إلى أمه، فجأة، وكأنه فطن لأمر ما، ثم يركض إلى الأوراق على الطاولة، ويقرأ بصوت عال أمام الجمهور).
- سلامة: " وكان المقنع يزعم انه نبي، أو مهدي منتظر، فيلبس قناعا أخضر. وعندما يطلع القمر، يضع سطل ماء ينعكس القمر فيه، ويقول أنه اصطاده. ويقنع أتباعه أنه نزل القمر إلى الأرض. وتبعته طائفة مسحورة به. وكان أتباعه يقفون في باب كهف، والنجوم تشتبك فوقهم وينتظرون عودته..." ام سلامة ام المنتظر، الذي عاش، حسب تاريخ الطبري...
- (بمسك أمه من يدها)
- سلامة: يما، يا حبيبتي، يا عيني، احكي لي المزبوط، يعني المزبوط.
- ام سلامة: احكيلاك.
- سلامة: احكيته قصة من ايام الحشاشين.
- ام سلامة: بس هذي الاوراق سيرة أبوك: مذكراته، بعثلك اياها.
- سلامة: أنت وياها متفقين عليّ، تحكو لي قصص من الكتب؟ يعني الواحد، مهما يبقى، مش حجر. (ببهلوانية) ليش ترك؟
- ام سلامة: مش متذكركه يا سلامة؟
- سلامة: مش متذكركه. احكي لي عنه. ليش ترك؟
- ام سلامة: بقى يحلم، يحلم، يحلم. لابس قناع اخضر، وصافن في القمر. قللي أنا يا زهرة جوزك السابع.
- سلامة: (بدهول) آه. يعني اتجوزت سبع..؟
- ام سلامة: أيوه، سبع مرات. هيك قللي. وقللي انه بقى عايش ايام صلاح الدين، في قلعة الحشاشين.
- سلامة: يا سلام! قيل ألف سنة؟ وصدقتيه؟
- ام سلامة: صدقتيه، وصرت أحلم، احلم. ولا حدا هان بحلم. ولا انت يا سلامة.
- سلامة: استني، هو كاتب اشى عن الحشاشين، استني. بدي افهم انت مين، انت وياها، بتألفوا لي في قصص.
- سلامة: (يقرأ من الأوراق، وترافقه موسيقى صوفية ما، تشبه صوت خلية النحل).
- " وكان الصباح، زعيم قلعة الحشاشين، يسكر طائفته، ثم يدخلون الحشيش، ويدخلهم إلى بستان، سكرانين ومحششين، ويشوفو جناين خضرا وانهار وكراسي ذهب، وعكل كرسي حورية، ونهور، وطيور خضرا..."
- ام سلامة: (بنشوة حالمة) جنة يا سلامة جنة. وبقيت هناك، أنا، عكرسي ذهب، مع الحوريات. وطول رموشي سبع امتار. وبقي هو، أبوك، هناك. معه خنجر فضة، ولا بس عمامة خضرا، وفي نص العمامة عين كبيره، وبتشوف، وبتتحرك شمال يمين، وفوق وتحت. وبتشوف. زي عين نسر عاليه بين الغيم، وبتشوف النملة في التراب الأحمر. (ترتفع موسيقى النحل) أجا عليّ، وقللي: "اسمعي يا حورية: اطلعي في عين النسر، هان! هان، فيها مكتوب عليك تتجوزيني. ومني بيجيك ولد، سميه، سميه..
- سلامة. ونا بتركك وبتركه لما الناس تبطل تحلم، في ليلة قمر."

وكله صحيح طلع! طلع كله صحيح يا سلامة.

(سلامة يرجع إلى الوراثة خائفاً. صمت طويل، ومن البعيد، في الخارج، صوت يرتل من القرآن ترتيلاً. ويرتفع بالتدرج، كلما اقترب، من "سورة مريم": "يا أخت هارون ما كان أبناك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا... إلخ". ويقترب الصوت أكثر، فأكثر، حتى يطغى على الجو.)

- (طرق على الباب. ام سلامة تتجه إلى الباب)
- الشيخ: دستور يا حضور.
- ام سلامة: دستورك معك. تفضل يا شيخ تفضل.
- الشيخ: الله يرحمه.(يقعد) العمر مثل القمر ما بنشبع منه، بس، يعني الله يرحمه. سواها ومات؟
- ام سلامة: لساته صوتك حلو يا شيخ!
- الشيخ: (مقهقها، يغني) "يا شيوخ قوموا العبوا، والنوم ويش منه،
والعمر مثل القمر ما بنشبع منه."
- ام سلامة: ما بنشبع منو. (تضحك) كيف الطريق يا شيخ؟
- الشيخ: سكرها الجيش. بس جيت!
- ام سلامة: كيف؟
- الشيخ: ما ني اعمى. سكر الجيش الطريق ولا ما سكر، فكرك مفرقه؟ فتحي يا ام سلامة، فتحي. البصر مش مثل البصيرة.
- (طرق على الباب) لا حس ولا حويس هان. ما حدا جاي؟
- ام سلامة: ما حدا.
- الشيخ: سلامة؟ البقية في عمرك.
- ام سلامة: بقية شو؟
- الشيخ: بقية عمر ابوك.
- ام سلامة: وابوي مين؟ هالاوراق باعتها؟ (يرفع يده ليسلم على الشيخ الذي لا يراه) سلم يا شيخ! سلم!
- الشيخ: طيب. الله يسلمك. (يضافحه)
- ام سلامة: قللي يا شيخ: أنت بتعلم؟
- الشيخ: يعني.
- ام سلامة: شو يعني "يعني"؟ بتعلم ولا بتعلمش؟
- الشيخ: هذا سؤال ولا تحقيق؟
- ام سلامة: سؤال في تحقيق.
- الشيخ: بديش أجاب اذا هيك! غير الموجة!
- ام سلامة: طيب يا شيخ، العميان بطلوا احلام ملونة؟ زي التلفزيون الملون؟
- الشيخ: أنا لأ. أنا تلفزيون مطفي.
- ام سلامة: يعني بتعلمش ولا شي؟
- الشيخ: هيك بيقولوا..
- ام سلامة: يعني مزبوط اللي بتحكي أمي: انت برضه بتعلمش؟
- الشيخ: (بمرح) يا بني! امك مندوبة المفتحين، شو بعرفها في العميان!؟
- (صوت خطى تقترب في الخارج)
- ام سلامة: (للشيخ) أقرأ يا شيخ قرآن، أقرأ. بلاش يقولوا عن بيتنا فوق اللي بيقولوه.. أنا عارفة، أقرأ.

- الشيخ: (بصوت منخفض) "يا أبتى إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين. قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدون لك كيدا. إن الشيطان للإنسان عدو مبين".
- إم علي: (تدخل عجوز تعرج، معها عصا قديمة، بثوب مطرز، وحذاء كبير جدا على قدميها، لزوجها، ربما) (تولول نائحة، بمندبل على فمها) يا حسرتي، يا حسرتي... وانهدى يا باب الدار عالساسات وانهدى على اللي طول الغيبات
- سلامة: (صانحا) هي بيبييه! اسمعي يا ام علي، يعني الواحد، شايف كيف، مش ولا بد، شايف كيف، لا نواح ولا لطم. يا بتروحي يا بتفعدى هادية!
- الشيخ: النواحات من ايام سيدنا نوح، خليها تنوح !
- سلامة: (رافعا إصبعة أمام أم علي) هدوء.. هدووووو!
- إم علي: (ترفع المندبل عن فمها مستغربة) مش مناسب أنوح؟ بدك أغني؟ بغني. (تحاول أن تبدأ الغناء) هيبييه هو! (فيضع سلامة يده على فمها)
- سلامة: هدووووء! هاي نص عقل. ووين؟ في بلد، شايف كيف، كلها خمس دور، وخمس دور مش ست دور!
- إم علي: يا شيخ، سلام الله عليك، البقية في عمرك يا زهرة.
- أم سلامة: ولا في عمري ولا في عمرك. بلكي ما ممتش، شو بعرفك انه مات؟
- إم علي: معك حق. هذا جوزك بغير جلده. قال باعتلكم اوراق؟ هو اللي بموت بكتب؟
- سلامة: أبوه، هيك. هدوء. أقعدي عاقله. وين ما فيه يا شيخ عزا أم علي أول اللي بنوحن، عالقريب والبعيد، بتعيط ععالها، مش عحدا. وجاي تعيط ععالها في دارنا. ومش ناقصنا متخصصة في العياط.
- أم علي: وشو ناقصك؟
- سلامة: هدوء، هدووووو! ولا أقلك : غني! يا الله، قومي، قومي، غني!!
- (يحاول سحبها من كرسيها، وتقاومه بمرح)
- أم علي: يا بني انا عرجا.
- سلامة: مش ترقصي، بقول، غني. شو خص رجلك في تمك؟
- الشيخ: الدنيا مشقلبه! بلكي حلقها بعرج!
- أم علي: هاض يا شيخ مرة أبو سلامة جاب كيلوا لحمه لام سلامة تطبخه. طبخته، وباقية مينه من القلة، سفكته كله، ولا شفقة ظل. أجا ابو سلامة ولا العشا مرقه. خير يا طير، وين اللحمه؟ قائلوا "البس" (القط) أكله. فكر، فكر، فكر ابو سلامة، وتحير، وصفن في هالمركات، في دخلت البس. زقطه وحطه في الميزان. طلع البس كيلو. أشر عالبس وقالها: يا حبيبتى يا ام سلامة، خلينا نقول هذول هنّ اللحامات، وين البس؟
- الشيخ: هذا باقي جُحا. صحيح إذا البس كيلو، وميكل كيلو لحمه، وين البس؟! (يقهقه)
- سلامة: هدوء، هدووووو! قائلك غني، مش تحكي قصص. غني.
- أم علي: بدك ايانى أصير زي ابوك؟
- سلامة: ليش؟ هو أبوي بقى مغني؟
- أم علي: ولا يا خايب؟ والله متذكرته في 48 وهو يغني للثورة والحج أمين.
- سلامة: شو؟

- إم علي: بقى مع قوات المُفتي، ويغنيه:
- سلامة: شو بقى يغني؟
- أم علي: (تغني)
- يا قمر سلم عليهم كل ما تطلع وبلاد غزة جفتنا وامحل المزرع
- يا قمر سلم عمفتينا وحب ايده رجال طيب وكل الناس بتريده
- يا قمر سلم عمفتينا وجيرانه رجال طيب بدافع عن اوطانه
- سلامة: (لإمه) مش بطال، مش بطال! مغني؟ ولا مرة الواحد يعني سمع منك هيك، انه مغني!
- أم سلامة: من ايام ونا في قلعة الحشاشين، لما اتطلعت في عين النسر اللي في عمامته، هذي، يا ام علي، مثل الخرزة معلقة في عمامته الخضراء، وبتشوف، وبقى عجنبه خنجر فضة. سامع يا شيخ؟
- الشيخ: سامع، اللهم غفرانك.
- أم سلامة: سحب هالخنجر، وقبع عينه، قبعها، تخيلي يا ام علي! قبعها، هيك، وتناولها بايده، مثل الخرزة، بس بتشوف وبتبحر شمال يمين، وفوق وتحت. قللي : خذيها، وعلقها في رقبتك. لما بتطلعي فيها بتشوفي نص الدنيا. وينتا بدك تشوفي جوزك بتشوفيه فيها، وين ما يبقى. وبهالعين بتقدري تحلمي.
- أم سلامة: بتشوفي ساحة كبيرة، وسور، وبحر، وثلاثة رجال لا بسين احمر، احمر في احمر. جوزك واحد منهم، وبقى فيده منديل اخضر ويغني.
- إم علي: بعرفش إذا حدا بلبس أحمر في احمر، بس بقى في قوات الجيش الإنجليزي، وبعدين مع الثورة، مع الحج امين.
- سلامة: ولك بقى صغير ايام الحج امين، عمره سنة، بيجوز. خليتي مغني؟
- أم علي: الصحيح، أنا خجلانه احكي قدامك. بقى يحب وحده من قرابيننا.
- سلامة: أيوه، هي الحكي اللي بمشي عليه الترين! بقى يحب وحده غير امي؟
- (ينشد، ببهلوانية) وقد لامني في حب ليلي أقاربي
- أبي وابن عمي وابن خالي وخاليا!
- إم علي: لاموه كلهم، وقال بدو يسافر عاميركا، يجمع مصاري ويتجوزها.
- سلامة: يعني ترك عشان بحب، تشتغل ويتجوز؟ لا مهدي ولا بطيخ؟
- أم علي: بعد سنتين من سفره بعث إليها مکتوب يطلب فيه ايدها، ومع لکتوب جوزين جرابين نسونجية. قالت بدهاش اياه، وبوها، سليمان الخضرا، ما غيره، ما رضيش، قام ابوك بعث مکتوب ثاني بيقلو فيه: خليها ترجعلي الجرابين، والمکتوب. بدو يجوز عليك يا خايبة باقي، ولا!؟
- سلامة: ما هي بتقول تجوزت سبعة.
- أم علي: مقلب. أبو سلامة، لما انقطع امله من البننت هذي، اللي ودالها الجرابين، نوى عالسفر. قالوا صار صاحب بارات في اميركا، ومحطات بنزين، وقالوا بسافرش إلا بطيارة خصوصي، ونسي اهله، ولا.
- الشيخ: وانت يا م سلامة؟
- أم سلامة: مالي؟
- الشيخ: ظليت هان، قاعدة عتبة الدار تستني فيه؟
- سلامة: (مغنيا لأمه)
- يا ظريف الطول وقف تقللك رايح عالغربة بلادك أحسنك،

خايف يا محبوب تروح وتتملك وتعاشر الغير وتنساني أنا.

إم علي:

متذكرة؟ متذكرة المرأة اللي حبتها؟ ولا نسييتي؟

ام سلامة:

لا لأ. بقيت عارفة. مش ترك تيجوز ولا تيشغل.

ام علي:

طيب وليش بعث لها مكتوب وجرايين؟

ام سلامة:

بقت ساحرته.

إم علي:

كيف ساحرته عاد؟

ام سلامة:

هو قللي: "سحرتني يا زهره، سحرتني. شاعر اني في قصر في صالة، في وسط الصالة تماثيل أسود من ياقوت احمر، ومن

اثمامها بتشخب مي زي النوافير، ونا ورا ستارة قاعد: نصي رخام، من الخصر وتحت، ومن فوق بشر. وعرقان، ووجهي

شاحب، اصفر، شو اصفر، وشعري مبلل من عرقي، ونازل خصل عجيبني. وانا جوزك السابع، فكي السحر عني يا ام

سلامة. طولي ابرة مغروسة في راسي من ورا، فوق ذاتي، ابرة ذهب. طوليتها، يا ام سلامة، تترجع البلاد بلاد، والجبال

جبال، وتشوفي الأسد نايم جنب الغزال، والذيب جنب الخروف. جنة يا ام سلامة، جنة. والناس ناس. جنة يا ام سلامة، جنة!

بلاد محررة، وأمنة، والذيب نايم جنب الخروف. فكي السحر عني، بس فكيه."

ام علي:

وسحبته ابرة الذهب من راسه؟

ام سلامة:

لأ، لأ. فش طعم للحياة بلا سحر! (تضحك)

سلامة:

يعني بقت ساحرته؟ وترك عشان هيك؟

ام سلامة:

لأ، لأ، يا سلامة. سحرها اشي ثاني. خلته زي ملك الجزر السودا في "الف ليلة وليلة."

الشيخ:

وشو ملك الجزر السودا هاذا؟

ام سلامة:

مرته سحرتة لصنم نصفه حجر ونصفه بشر، وسحرت أسواق مدينته بحيرة، وسحرت سكانها، اليهود صاروا سمك أصفر،

والمجوس سمك أحمر، والسلمين سمك أخضر، وسحرت بلاده كلها جزر سودا...

الشيخ:

كلمي، كلمي، ما حدا راح يبجي عالغزا، وما حدا غريب.

سلامة:

باعث اوراق، شاييف كيف. اوراق. يعني الواحد، شاييف كيف، صعب يعرف أبوه من اوراق.

الشيخ:

لأ، لأ. امك بتقول سحرتة مرته، يعني...

سلامة:

يعني أمي، هيك قصدك؟ مهو كمان ساحر. المهدي المنتظر. القائم.

الشيخ:

اسمع يا سلامة: انا إللي سمعته والعلم عن الله، انو سافر عاميركا..

إم علي:

يا شيخ سافر عاميركا تيجوز.

الشيخ:

خليني احكي: قال أنه بدو يبني قصور ذهب، بعثبات فضه، بين حدايق برتقان، للاجئين والمسخمين اللي زينا بس طولي

بالك يا أم علي، قللي، بدو اشتغل شوية في اميركا. وبيبيك يا شيخ قصر ذهب. قتلوا ماني اعمى، شو بدو في قصر ذهب.

قال لا، لا، يا شيخ، بس تسمع انه دارك ذهب بتفتح! الذهب بسوي كل شي.

سلامة:

وشو بدو يشتغل غادا؟

ام علي:

يجلي صحون. (تقهقه)

ام سلامة:

لأ، لأ. مهدي بجليش صحون. مرة قال لي: اسمعي يا ام سلامة، بدو يظهر "الإعور الدجال". ويقول انه هو أنا، هو المهدي،

والناس في هالبلد بصدقوه، وبيبتك الناس بينجنبوه. ما ليش سوق. ونا بختفي سنين، بس برجع. مش بيجلي صحون، لأ، لأ.

سلامة:

بس وينتا برجع؟

إم علي:

لما تشوف علامات القيامة، بيجوز. الجبال بترقع، والشجر بصلي، علامات القيامة.

هدووووووو. هلا، آه، اسمعي يا ام علي، آه، هلا فهمت ليش سافرا! اسمع يا شيخ شو كاتب في اوراقه: سلامة:

"ومن علاماته... يعني القائم ولا المهدي المنتظر، "ومن علاماته"، سامع يا شيخ؟

سامع، إمن قصة هذي! الشيخ:

"ومن علاماته : له رأسُ نسرٍ هرم، ينظر إن نظر من جهةٍ إلى جهةٍ برجفة خفيفة في الرأس، وريشٌ قاس يحيط بعينه، سلامة:

وعلى عنقه سوار فضة، وفي رجله خلخال، ويده محناة، ولا يستطيع الكلام من منقاره، وله جسد كاهن، وعيناه يقظتان، ويكتم السر، ويكون غريبا، يأتي من جهة الشرق، عبر الجبال، ويخلص هذه البلاد." (للشيخ) سامع؟ بدو يخلص العالم! سافر يخلص العالم. آه! هلا فهمت. وبرجع براس نسر، وايد محناة، وفي رجله خلخال! برجع..

آه، بس يا سلامة، في واحد هيك، اله راس نسر، وايدين محناة، وفي رجه خلخال، رجع زمان، يا سلامة، من ريجا. مش هذا إم علي:

اللي اجا قبل عشر خمستعشر سنة، وقتلوه في غور الأردن. بقت الدنيا قمر، ولاقوه واقف عصخرة، زي نسر!

آه، سمعت عنه. وسمعت أنه بقى صافن في القمر وبغئيله: الشيخ:

"أيها الرب الرخامي المعلق

أيها الشيء الذي ليس يصدق

دمت للشرق لنا ينبوع ماس

للملايين التي عطلت فيها الحواس"

أيوه، هو بحاله، يسلم لسانك.

أم علي:

وطخوه ناس مش معروفين، وصاروا يغنوا في اذيال جثته، ويرقصوا. (بغني) الشيخ:

"قتلناه قتلناه

أبو ايد محناة

قتلناه قتلناه

يا وردة اجياله

قتلناه قتلناه

يا رنة خلخاله؟"

قتلوه؟ آه. صح. آه، صح، تمام. يعني ابوي مات من خمستعشر سنة؟ سلامة:

آه! أم علي:

بس السنة بعث الاوراق هذي، ابو سلامة، السنة بعثها. هو اللي بموت بكتب عن حاله بعد خمستعشر سنة من موته؟ أم سلامة:

طخوه، وبقت جنازه كبيره. وسمعت واحد ماشي في أولها وبغني... (الشيخ يبدأ الغناء ثانية.) الشيخ:

(للشيخ) هدوء، هدووووو! (يسكت الشيخ) سلامة:

وهيك قللي أبو سلامة: لما القائم يقرب يقوم، بصيروا يغنوا في الجنازات، بدل ما يعيطوا. أم سلامة:

(من الكتاب) "وكانوا طيبين وساخرين: سلامة:

لا يعرفون الرقص والمزمار

إلا في جنازات الرفاق الراحلين."

هو شو هالكتاب اللي بتقرا منه؟ كل شي فيه؟ الشيخ:

أجا بالبريد من فرنسا.. سلامة:

بلكي واحد ثاني كتب الاوراق، وبعثهن؟ الشيخ:

- سلامة: والله ما ني فاهم اشي. بقى عقلي مشوش تشوش بزيادة!
- إم علي: ولا تتشوش ولا عبالك. خذ مني الصافي: ابوك بقى مع الحج امين، وسافر عاميركا، مش عفرنسا، ولا عالصين، ولا غيره، وعنده بارات غاد. هيك أهل البلد كلها بيقلو.
- سلامة: لأ، لأ. مش ابوي اللي انطخ. اسمعي يما شو كاتب في هذي الورقة:
- "كان شادي، وهو صغير، يلعب في ساحة سجن عكا، يوم أعدم الإنجليز محمد جمجوم وفؤاد حجازي وعطا الزير، وسمع انهم ألبسوا الثلاثة ثيابا حمراء، مقصوصة حول العنق، كي يكون إعدامهم سهلا، وتسابقوا على المشنقة، ورأى جنازتهم تخرج من باب السجن. وهاجت الجماهير وماجت. منهم من أخذ يكبر لله ومنهم من يغني، ومنهم من هرب. وأطلق الإنجليز النار على الجميع. وهرب شادي، فضربه بسكايت في رجله، فحمله رجل غريب، بعباءة خضراء، وقال له: "من الآن حتى نهاية عمرك مكتوب عليك ان تحلم بالعدل، وبالقائم، وأن تنتظر المهدي!"
- الشيخ: بس أعدموا جمجوم والزير وفؤاد قبل ما ابوك ولد. كل القصة عجيبه غريبه.
- سلامة: كيف قبل ما ولد عاد؟ امي بتقول انه بقى شاب ايام الحشاشين، قبل الف سنة.
- الشيخ: يا سلام! وصدقته؟
- سلامة: وبعدين في هالقصة؟ والله العظيم يا شيخ ان رجع أبوي، لسجنه في قصر ذهب من هالقصور اللي بحلم بهن، وأقلله: فكر، بس فكر، في اللي سويته في، وانت تحلم انك القائم! حلمك صار الكابوس تبغي يا بابا يا حبيبي يا كابوسي! ومين اللي باعتلي الاوراق هذي؟
- الشيخ: (يغني) وكتابك يا زين كيفن تاوصل عنا؟ لمن قريناه كن هالن مدامعنا!
- خاتمك يا زين في البير إله رنه يا من سمع رنته رايح على الجنة!
- (يقطع الغناء، فجأة، رجل فرنسي داخل وعلى رأسه قبعة، ويلبس ملابس قديمة، من السبعينييات.)
- لوي: أهلا، أهلا، أبو سلامة! كيفك، واو، زمان زمان عنك يا بو سلامة. كيفك؟ وين يا رجل اختفت؟ سنة وانا اسأل تعرفت انك هان.
- سلامة: (بذهول، بعد أن قالت منه) شو هذا؟ نص عقل؟ مفكرني أبوي؟ إمن قصة هاي! يما، يا عيني، يا حبيبتني، فهميني!
- إم سلامة: والله المهدي المنتظر ما بفهم شو اللي بيصير!
- إم علي: دوري عليه، بتلقي أبو سلامة تجوز، وهذا نسيبه.
- سلامة: بس هذا نص عقل.
- إم علي: ولا حدا بناسبه إلا وهو نص عقل. يعني أبوك اللي قال لك انه هو من الحشاشين قبل الف سنة بعقل الثنين، هو ونسيبه، نص عقل.
- لوي: كيفك يا بو سلامة؟ من ايام المظاهرات في باريس مشفتكش! فكرت الشرطه اعتقلتك ورمتك مكتف بحبل في نهر السين، زي ميدالية. بتتذكر هذي، شو اسمها، ميدالية النحاس اللي عليها صورة أرسطو؟ لسنة معلقة في رقتي. هيا! هلا أبو سلامة.
- لوي: متذكر يا بوسلامة؟
- سلامة: (بذهول، ويلبس عباءة أمه السوداء، ويضع قناع النسر على وجهه، ويحمل المجلد، ويقف في وسط الحلقة، أمام لوي، مباشرة) متذكر!
- لوي: شو متذكر؟
- سلامة: دارك، جنب نهر السين. كنا بنتطلع من الشباك...
- لوي: أنو شباك؟

- سلامة: شباك اخضر، شباك دارك.
- أم علي: (تغني ضاحكة) شباكين عالئيل عينيك شباكين عالئيل..
- سلامة: شباك دارك أخضر. متذكره؟
- لوي: أنو شباك؟
- سلامة: (يقراً من الأوراق) "وقفت معه في شباك بيته الأخضر. أه. والقمر بسبح عظهر الدور. بقت مظاهرة في باريس."
- لوي: أه، مظاهرة ضد احتلال فرنسا للجزائر. مظاهرة وليل. وجت شرطه عخيل، وشرطه مشي، ولموا خمس ستمائة واحد ووحدة، وطخوهم، ولا حدا عرف. ممنوع حدا يعرف. الجرايد معهم، التلفزيون معهم، علم الإشاعات معهم. خرست البلد. وهرينا أنا وياك، في شارع خلفي، ولا حدا، ولا ضو، ولا صوت خيل... هـدووووووو. هـدوء.
- سلامة: هـدووووووو. هـدوء.
- لوي: ومن الشباك شفنا جثث مرمية في نهر السين، تحت الضواو، وبتسبح، وبتسبح، وعينها مفتحة. وحده بقت شقرا، جديلها طويلة، وبتسبح، ولا صوت، بس اضواو، موج... بتطلع وبتنزل الشقرا. شو هادية. شو بطينة. بتقول عنها غافية... وبتسبح. وشو هـدووووووو. هـدوء، يا لوي! وسطوح البيوت بتسبح في ضو القمر. هـدووووو.
- سلامة: قنلتلي اسمع يا لوي، راح يطلع الاستعمار من الجزائر، قالوا أه ولا لأ، راح يطلعوا. وغاصت الشقرا في الموج، شوي، شوي، ظلت اضواو عظهر النهر، وموج، موج بلا صوت.. هـدووووووو. هـدوء.
- سلامة: هـدووووووو. هـدوء.
- لوي: غاصت، مفتحة في المي. قنلتلي يا بوسلامة: "اسمع يا لوي، من هلا وطالع الناس بينسو، بيصيروا ينسوا، وبيجوز يبطلوا يحلموا. ونا ساعتها بسافر. لأ، لأ، قنلتك لأ، لوي بنساش، الناس أه، لوي لأ. لوي زي أبو الهول: جسم أسد وراس بشر، أبو الهول بشوف ويسكت... هـدووووووو. هـدوء. سكوت.
- سلامة: هـدووووووو. هـدوء.
- (من الأوراق) " عناوين تلك الشوارع كانت تفاصيل موت معاد. وأسماء تلك الشوارع كانت وصايا نبيّ يباد"
- لوي: بس ابو الهول بنساش. ابو الهول قصيدة، و بنساش، لأ. هيني جيت يا بوسلامة، بعد سنين طويلة، تقلك لوي بنساش، انت نسيت يا بو سلامة، بس أنا لوي، وبنساش!
- الشيخ: (يقني ببطء، همهمة لحن، ثم يتصاعد صوته)
 رصيف المدينة في الليل لا غبار عليه
 عندما لا نخاف منه ولا ننام عليه
 عندما نضحك من معدتنا من أجل فنجان شاي
 تحت قوس قزح
 يكون الفرح
 لا لا غبار عليه
 عندما تتبع الخضرة في أعيننا
 من الربيع في داخلنا
 يكون الرمش لا
 لا غبار عليه.

(تدخل، قبل انتهاء الغناء، بنت صغيرة، وكأنها تاهت فوصلت البيت ودخلته، مذهولة.)

- البنت: يما، يما. حدا شاف امي؟
- سلامة: كيف شكلها؟ شقرا؟ وجدايها طويله؟
- البنت: شقرا، جدايها طويله؟
- لوي: وغاصت في نهر السين، والقمر عالموج، شو بقت هاديه.. مين امك يا شاطرة؟
- البنت: أمي، أمي، سمرا، جدايها طويلة.
- لوي: وفي وحده سمرا غاصت في السين، والقمر عالموج، متذكر يا سلامة؟
- سلامة: بسسسس! هذووووو. هذوو.
- البنت: (سلامة، بعد أن تدير نظرها في الحضور) هاي دار ابوي. مين انتوا؟
- سلامة: أحسن! والدار دار ابونا، وجوا الغربا يطحونا! داركم؟
- البنت: آه، دارنا.
- إم علي: دارك انت ومين؟
- البنت: أنا وامي.
- سلامة: يما يا حبيبي، فهميني.
- لوي: هلا يا أبو سلامة، لازم تتذكر!! متذكر وحده سمرا، جدايها طويلة، التقينا بها في باريس، بقت طالبة في الجامعة.
- سلامة: آه، آه، كمل، كمل.
- لوي: بقت تسميك "الزلمة الشرقي". وتقول لك: "مش داريه ليش مش قادرة اتخيل انه في عندكم إشي غير التقاليد..." (ضاحكا)
- وقنعتها انت انه الثلج في افريقيا اسود.
- سلامة: آه، متذكر. وبعدين يا لوي؟ بعدين شو صار؟
- لوي: ليلتها هربت معنا من المظاهرة عدارنا، هذي اللي شباكها اخضر، قنعتها انو الثلج في افريقيا اسود. ولبستها زي شهرزاد، وانت لبست زي شهريار...
- (تدخل امرأة فرنسية، لابسة كشرزاد، وتقع على فراش على الأرض. سلامة يقعد على كرسي مذهب قريبا.)
- شهرزاد: بلغني ايها الملك السعيد، ان أهل الصين والروم اختصموا فيما بينهم أيهم أكثر فنا، وأكثر إتقانا لزخرفة البيوت. فقال لهم الملك: اسمعوا، في قصري في صالتين، وجاه بعض (يفتحن على بعضهن)، أهل الصين يوخذوا صاله ويرسموا عحيطانها، وزينوها، ووروني فن الصين، والروم يوخذو الصالة الثانية ويسوا نفس الإشي، يوروني فن الروم، وانا بحكم بينكم. والله وافقوا الاثنين. أهل الصين طلبوا من الملك مائة لون ولون، بس الروم قالوا احنا بناش الوان، بس بنا فضة نرشق الصالة. دخل كل ناس عغرفتهم. عشر خمستشر يوم، خلصوا اهل الصين، ودقت الطبول والدفوف، ودخل الملك عالصاله تبعتهم. ولا هي بتوخذ العقل، شو فن، شو زينه، زي الحلم، وانبهر الملك. والله طلوعوا اهل الروم، ودخل يشوف صالتهم، ولا هم راشقينها فضه، وجليينها، عاملينها زي مرآه كبيرة، شو بيضا، وشو صافيه، زي قرص القمر، بتسبح زي ضو القمر، ومن أول ما فتح الملك الصالة، انعكست كل زينة الصين فيها، كل الصالة الصينية بينت في صالتهم. وانهب الملك. غرفة الفضة المجليه هذي هي اهل الصوفية، وناس مثل المهدي المنتظر، والقائم، بشوفوا بقلبيهم، وكل زينة الروح فيهم، وبحلموا، بحلموا، وبعكسوا احلام كل الناس، زي ما غرفة الفضة بتعكس الزينة في غرفة اهل الصين.. زي ما... غر.. ف... ف... ال.. ف.. ض... (تنسحب شهرزاد، ويبقى سلامة قاعدا على كرسيه، ويفكر..)
- سلامة: يعني ابوي بحلم، بحلم، بحلم يخلص العالم، وقلبه غرفة فضة يا شيخ.. فضة؟ مرآه، صوفي، مهدي، قائم، سمي اللي بدك اياه.

الشيخ: اسمع يا سلامة، خليك بعقلك: هان، في بلدنا، ما حدا بحلم، لا انا، ولا انت، ولا ام علي، ولا غيره. وابوك ليش يبقى مختلف يعني؟

سلامة: مزبوط، معك حق. يعني رجعنا وين بقينا: ليش ابوي ترك؟ ومين هو؟ (للبنيت الصغيرة) مين حضرتك يا شاطرة؟

البنيت: بنت امي وبوي، وهذي دارنا.

سلامة: وامك وينها؟ (تدخل نفس المرأة، آن بلباس عادي، وجدائل سود).

آن (الفرنسية): هذي دار ابو سلامة؟

ام علي: ولا دارك؟ تفضلي، تفضلي!

ام سلامة: (تسلم عليها) تفضلي يا خالتي، تفضلي.

(آن تدخل، وتقعد بارتباك، مديرة نظرها في الحضور، ويبدو أن الشيخ لفت نظرها)

أم علي: هذا اعمى! شايفة؟

آن: آه، آه شايفة.

الشيخ: حضرتك مين؟

آن: امرأة المهدي! سلامة: وهو؟ يعني، مات؟

آن: تركنا من سنة، أنا وبنتي.

أم سلامة: عوين؟

آن: قال، في بلاد سماها زرقا، فوق حدائق برتقال، وعشط بحر...

سلامة: آه؟

آن: حدائق زي المتاهة، متاهة فرعونية، عشرة آلاف حديقة برتقال، وما حدا فيها، ساكنتها ارواح عشط بحر، ولا نهر، مش متذكره وين، يا بحر يا نهر.

سلامة: وليش راح هناك؟

آن: قال لي هذي حدائق كل ارواح اللي بحلموا في الأرض ساكنه فيها، ومسكرة ببوابة حديد سودا.

ام علي: والله قصة هاي!

آن: راح غاد، واخذ معه خيطان صوف حمرا، وقال بدو يفتح البوابة، ويخلي كل اللي بحلموا يهربوا منها، ويحكوا احلامهم لجميع القارات اللي فش فيها حدا بحلم.

ام سلامة: وبعدها يرجع؟

آن: آه، يرجع، يرجع، واعطاني العنوان اللي بدو يرجع عليه: بيت أبو سلامة، في ديرة الولي، مش هذا بيت أبو سلامة؟ في ديرة الولي؟

سلامة: آه!

آن: قللي يرجع هون. جيت استناه، موعده قرآب.

البنيت: لأ، لأ! (لأمها) انت تقاقتني معه، تقاقتني، وقتليني بدك تمزعي اوراقه، ما كئاش قادرين ندفع اجرة الدار، ولا فاتورة المي، ولا الدواء، وقتلوا انت مش مهتم بنا، لا بمرتك ولا ببنتك، وبس بتحلم، بتحلم، وضربتيه، وقف عالباب، بقت الدنيا ليل، وظل واقف تطلعت الشمس، طلعت من وراه.

أم علي: آه، كملني يا شاطرة!

البنيت: (لأمها) واعطاك عنوان، وقلك في لي بيت وأرض غاد، وروحي غاد، وبرجع، خاطرك، وراح. وانت سحبتيني وجيتي.

أن: لما طلعت الشمس عليه، وهو واقف في الباب، كان في وراه جناين خوخ، وسرو، ورمان، وكانت في خلية نحل، هجم النحل عليه... (موسيقى النحل لقسدي) وغطاه، وبطلت اسمع واشوف إلا نحل، نحل بلمع مثل الذهب، وموسيقى، ذاب، وشفقت بس الخلية طائره في الجناين، وسمعت صوت بيقول: أن، أن، بنلتقي، بنلتقي، في ديرة الولي.

البنت: لأ، مش هيك، قلك، قسمي ورثتي، وعيشي في بيتنا في ديرة الولي، وبرجع، برجع، وبنلتقي غاد...
أن: (البنت) وبعدين؟

البنت: من ونا زغيرة، ومن قبل ما اولد، بتعيش أن كأني مش موجودة، ولا بتحب تحكي معي، بتتساني. صرت اتمنى لو اني نبتة!
(لأن) جاوبيني! مش تقايلتي معه؟

سلامة: (الفرنسية) وخالصة الحكي؟! شو جاي بدك؟ قهوة سودا؟ ولا تحكي قصتك؟ ولا تحلمي؟ ولا تستنبيه تيفتح بوابة الحديد في متاهة البرتقان؟ ولا تقسمي ورثته؟ ولا تنسي، تنسي، زي أهل ديرة الولي؟ ولا تنقالتني مع بنتك هان؟ شو بدك؟
أن: احكيتك!

سلامة: أه، أنا... أنا... يما، يا عيني، أنا تعبان. (يضع قناع النسر على وجهه) بس أنا، سامع يا شيخ؟
الشيخ: سامع سامع.

سلامة: أنا بدي اوراقه، بس اوراقه.

أم علي: ومحطات البنزين في اميركا، والبارات، وداره هذي، وثيابه؟

سلامة: جتته، إن بقي ميت، حصة التراب، ومحطات البنزين إلك يا ام علي، خليها إلك. وقناع النسر هذا لامي. (يعطي القناع لأمه)
وللوي قناع حرير اخضر، وصورته هو وابوي، وللشيخ العصافير والغزلان، ونا من ابوي بدي اوراقه، بس بدي اوراقه، أنا بس بدي اوراقه... اشهد يا شيخ، اشهد، أنا بس بدي اوراقه. (يقراً أمام الجمهور، وينسحب بالتدريج)

"وسيمر القائم مثل خيط حرير أحمر يطير في ظل القمر، يمر تحت الشجر، وقرب الأنهار، ويدور حول الأرض، ويسافر من بلد إلى بلد، ويبدل هيئته، ويبدل أفعته، ويده محناة، وفي كل بلد يترك أثراً، ورقة أو قصة، أو وهما، أو حلماً، أو بيت عزاء، أو خلية نحل. فانتظروه. سافروا حيث شئتم، من حيث شئتم، إلى حيث شئتم، فلن تسافروا إلا فيه، ولن تسافروا إلا منه، ولن تسافروا إلا إليه..."

وانا بس بدي اوراقه، بس اوراقه.

(يخرج من الدار، وترتفع موسيقى النحل)

النهاية